**لأستاذة المشرفة على المقياس : بن عيسى خيرة**

**مقياس : الأصلاح الديني في عصر النهضة العربية : ( مح + تط ).**

**المستوى : ماستر 1/ تخصص فلسفة عربية إسلامية .**

**السّنة الدّراسيّة 2020- 2021 .**

**المحاضرة الأولى: تمهيد حول الإصلاح الديني:**

**الإصلاح الديني** أو النهضة أو حركة التنوير العربية كلها مصطلحات تطلق على حركات اتخذت لنفسها طابعا تحرريا إصلاحيا ، تسعى إلى تحقيق إصلاح ديني شامل يتماشى مع التحولات الجديدة التي عرفها العالم عامة والعالم العربي خاصة .

قاد هذه الحركات الإصلاحية الدينية مجموعة من المفكرين ورجال الدين العرب بهدف حمل العالم العربي على مواكبة التطور الحضاري والخروج من الأزمات التي أدت به إلى الانحطاط والتخلف والتبعية .

إن الإصلاح الديني في عصر النهضة العربية كان يقوم على **أسس متعددة** لكنها كلها تصب في سياق واحد ؛وهو ضرورة **يقظة العرب وتحقيق الاستقلال الذاتي ورفض مظاهر الاستبداد** التي فرضها وخلفها الاستعمار بأشكاله ، ومن ثمة مواكبة التطور الحضاري الغربي بالإطلاع على عناصر النهضة الغربية والتعرف على وسائل التحضر ومحاولة الإقتداء بها . لكن ولأنه إصلاح ديني فإنه كان يؤسس لذلك على **مبدأ الحفاظ على المقومات الإسلامية.**

يؤرخ لهذه الحركات الإصلاحية عند العرب عموما منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي كان الغرب في أوربا قد حقق فيها نهضته في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والدينية وغيرها ، وكانت بداياتها في الغرب مع حركات الإصلاح الديني التي انطلقت من إيطاليا ثم امتدت إلى كل أوروبا، وتزعمها في البداية مجموعة من رجال دين .

في هذه الفترة كان العرب في حالة من التخلف والضعف في جميع المجلات ، ومن أهم أسباب ذلك الاستعمار الذي كان رغم سلبيته من العوامل التي ساعدت على تنبه العرب إلى مستوى التحضر الذي وصل إليه الغرب ، ومنه توجه اهتمامهم ؛ أي العرب ، في النصف الثاني من القرن ذاته (ق19) إلى محاولة فهم حركة النهضة الغربية ما فتح الباب واسعا إلى ضرورة التعرف على عناصرها ووسائل التقدم الغربي وآلياته ، ومن ثمة محاولة النهوض بالأمة الإسلامية وإحيائها مع الحفاظ على مقوماتها الدينية .

وبما أن الإصلاح الديني يندرج بالضرورة ضمن **مفهوم النهضة** فإننا سنقدم تعريفا موجزا لها ، فهي :" بمفهومها الخاص حركة إحياء التراث القديم ، أما بمعناها الواسع فهي عبارة عن ذلك التطور في كل من الفنون والآداب والعلوم ، وطرق التفسير والدراسات وما صاحب ذلك من تغير في أسس الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية "[[1]](#footnote-2)

يتطرق الجابري كذلك في كتابه الخطاب العربي المعاصر لمفهوم النهضة ، إذ يقول : "إن مصطلح Renaissance ويعني لغويا "ميلاد جديد " لم يظهر في اللغة العربية إلا مع بداية القرن التاسع عشر ، هذا في حين أن " الميلاد الجديد " الذي يشير إليه قد انطلق من إيطاليا ، ليعم أوربا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وهو يتمثل في حركة تجديد واسعة وعميقة شملت العلوم والفنون والآداب ، حركة اعتمدت إحياء التراث الإغريقي – الروماني – مما جعل منها حركة تجديدية بمعنى الكلمة ، بل ميلادا جديدا..." [[2]](#footnote-3).

إن الجابري وإن كان في هذا القول السابق يتكلم عن النهضة الغربية ، فإن التعريف الذي يقدمه يمكن إسقاطه على مفهوم النهضة عند العرب مع الأخذ بعين الاعتبار مقومات الأمة العربية وطريقة نهضتها وطبيعة تجديدها ومستوى نجاحها . فهي حقا كانت بمثابة ميلاد جديد عند العرب .

نشير هنا إلى أن حركة النهضة العربية لم تكن مجرد أفكار أو نظريات صاغها مجموعة من الرواد المصلحين ، بل هي واقع ملموس ينطلق من وضع إنساني معاش ويتجه إلى التفكير في الطرق والأساليب التي يمكن من خلالها الخروج من واقع الاستعمار والاستبداد الغربي ، ومواكبة التحضر والتقدم العالمي ، وهذا بغد النظر عن مدى نجاح هذه الدعوات الإصلاحية وعن مدى تطبيق هذه الأفكار على أرض الواقع .

يمكن هنا أن نثير مسألة أخرى مهمة ترتبط بطبيعة الإصلاح في عصر النهضة العربية ، وهي **أن الإصلاح الديني لم يكن التوجه الوحيد للنهضة العربية** الذي دعا إليه رواد الإصلاح ، بل كانت هناك دعوات أخرى تمثلت في الإصلاح السياسي ، ودعوات أخرى ذات توجعه علماني ، لذلك **يمكن القول أن الإصلاح بكل توجهاته الدينية أو السياسية أو العلمانية كان يتجه نحو غاية واحدة وهي النهوض بالأمة الإسلامية** ، لكن **اختلف رواد النهضة في طريقة فهمهم لعناصر التجديد ومكونات الحضارة الغربية ، وبذلك اختلفوا في آليات وطرق المواجهة والتصدي لغرض البناء والتكوين** ، فنتج عن ذلك مشاريع نهضوية ذات أبعاد إصلاحية دينية وسياسية وأخلاقية وتربوية وثقافية ، ويمكن أن نلخص هذه الاتجاهات فيما يلي :

**\*الإصلاح السياسي :** هو حركة إصلاحية تبني نشاطها على الجانب السياسي ، فهي تحاول إعادة بناء الدولة من خلال صياغة النظام الناجح الذي يستمد مبادئه من قيم الدين الإسلامي ، ومن تعاليمه التي تؤسس لمفهوم العدالة والمساواة والحقوق والواجبات على مبدأ الشورى والحكم العادل ، ومن أشهر نماذج الإصلاح السياسي نجد جمال الدين الأفغاني ( 1838-1897 ).

ينطلق جمال الدين الأفغاني في حركته الإصلاحية السياسية من الإسلام الذي يعتبره قانونا سياسيا متكاملا مطلقا ، فهو صالح لكل زمان ومكان ، إذ أن كل دعوة في رأيه يجب أن تبني عناصرها على مبادئ الدين الإسلامي فبفهمه يمكن الوصول إلى التحضر و به كذلك ويمكن مواجهة البدع والخرافات ، وتقوية الذات الإسلامية وتحريرها من الاستبداد الذي مورس عليها سواء كان داخليا ( أفكار ) ، أو خارجيا ( استعمار ) .

لذلك يدعو جمال الدين الأفغاني إلى ضرورة الوعي والحرية والانفتاح على الذات وفق النموذج المثالي للتقدم والتجديد الذي يتمثل في الإسلام .

**الاتجاه العلماني :** يقوم هذا الاتجاه على ضرورة فصل الدين عن العلم ، فهو يؤسس مبادئه الإصلاحية على عنصر العقل ، هذا الأخير الذي لا يستند حسب أصحابه إلى العاطفة التي من شأنها أن توقع الأمة في مأزق .

إن أصحاب هذا الاتجاه يؤسسون لدولة علمانية لا لدولة دينية ، وهم ضد الاتجاه السلفي الذي يدعوا إلى التمسك بالدين وضرورة العودة إلى الأصول والمبادئ الأولى التي بني عليها الإسلام .

من أبرز رواد الاتجاه العلماني **شبلي شميل** (1853/1977من لبنان له كتاب فلسفة النشوء والارتقاء ).

يتمركز فكر شبلي شميل التجديدي حول فكرة العلم وأهميته في تحقيق النهضة ، إذ به نستطيع معرفة كل شيء وبه ندرك نظام الكون ، وهو طريق التقدم والتطور من دونه تتخلف الأمم .

إن الدين في نظر شبلي شميل يعيق التقدم وهو طريق إلى الرجعية والتخلف ، وقد يفرض على الأمة قيودا تحجزها داخل مجموعة من الأفكار التي تقف عائقا أمام كل رغبة في التغيير .

من منطلق الفصل بين الدولة والدين الذي ينادي به أصحاب الاتجاه العلماني عامة وشبلي شميل خاصة ، يرى هذا الأخير أن الوحدة بين أفراد المجتمع تتحقق بمبدأ العقل و بتوجه سياسي قائم على إرادة الشعب بعيدا عن الدين الذي يعتبر من عوامل التفرقة ، ومنه يتوجه بدعوته إلى تجاوز المعيقات الموجودة في الدين ، فطرح بذلك قضايا كبرى كالمرأة والتربية والقانون والحرية ... فهذه كلها لا يجب التأسيس لها من منطق الدين ، ومن" ثمة هو يربطها بالنظرية التطورية لداروين ، إذ أن التجديد يتحقق فقط وفق نظرة تطورية تواكب التطور الحتمي البيولوجي والتاريخي في الطبيعة التي من شأنها أن تسارع في تطور المجتمع ونموه".

ومنه إن شرح أو تفسير العلم بالدين يساهم في تفشي الأوهام والأفكار المستمدة من التراث ، ما أثر على طبيعة التعليم التي هي في تصوره رجعية مبنية على التلقي ، والعربي هو بمثابة المتلقي فقط ليس له إمكانية النقد والتحليل ما يغلق باب الإبداع والابتكار والاجتهاد .

**اتجاه الإصلاح الديني :**

بداية لا يقصد بالإصلاح الديني إصلاح الدين نفسه وكأنه فسد ؛كما حصل مع الغرب بفساد الكنيسة الكاثوليكية ، أو استبدال الدين الإسلامي بدين آخر ، بل الإصلاح يكون بالدين ، بالعودة إلى الشريعة الإسلامية على أصولها الأولى خالية من كل الشوائب التي علقت بها ومن عناصر الكفر : " فالعلماء الحقيقيون الذين تصدوا لمسألة التجديد والإصلاح في الفكر الديني خلال العصور القريبة ، تناولوها من ضرورة التكيف مع العصر في تثبيت لمعادلة التأصيل مع التجديد ، وهذا التأصيل يكون برد الشريعة السمحة التي أتت بالوسطية والاعتدال ودعت إلى التفكير واستخدام العقل والاستنباط والاجتهاد إلى مقاصدها وإلى مستلزماتها مع مسايرة ضرورات العصر ، فالإصلاح والتجديد هما الإحياء والتفعيل " : أنظر عبد الحق عزوزي ، رواد الإصلاح في الوطن العربي .

وسنتوسع أكثر في حركات الإصلاح الديني في باقي المحاضرات .

1. - مصطفى حسيبة ، المعجم الفلسفي . [↑](#footnote-ref-2)
2. - الجابري ، الخطاب العربي المعاصر ،دراسة تحليلية نقدية . [↑](#footnote-ref-3)